— فالفلسطيني العربي امامه كل ارض فلسطين « وطنا قوميا له » يستطيع ان يعيش ويمارس حياته ويتنقل في اي مكان منها كما يشاء. والاسرائيلي لديه كل Eretz Israel « وطنا قوميا له » يستطيع ايضا ان يعيش ويمارس حياته ويتنقل في اي مكان منهـا كما يشاء .

— ان فكرة الدولة الصهيونية المنغلقة غير موجودة ، كما ان الدولة العربية المعادية بالنسبة لليهودي غير موجودة . ولكن هناك درجة كبيرة من التبادل والاندماج بين الشعبين تقترب كثيرا من صيغة المجتمع المثالي « الديمقراطي العلماني الذي يتمتع فيه اليهود والعرب بحقوق متساوية » .

— ويعتقد البروفيسور جوتليب ايضا ، انه وان كانت المشكلة الفلسطينية هي المشكلة الاكثر تحديا وتعقيدا ، الا انه من ظواهر هذا العصر الحديث : تفجر الحركات القومية ، واصرارها على حق تقرير مصيرها حتى تلك التي عاشت قرونا في اطار دولة واحدة (يمكن ان تساعد مشاكل القوميات اليوغوسلافية في هذا المجال كنموذج) واصرار كل قومية حتى ولو كانت جذورها قبلية او عددها قليلا على الاستقلال ، الامر الذي قفـز — مثلا — برقم العضوية في الامم المتحدة ، اذ دخلت «دول» لا يزيد عدد سكان بعضها على مئات الآلاف .

ولهذا فالمشكلة ، في رايه ، تطرح على الفقه الدستـوري والـدولي التقليدي تحـديا جديدا ، حيث ما زال السائد في هذا الفكر هو صورة الدولة « ذات البناء الراسي » والسلطة الهرمية الواحدة ، الامر الذي لم يعد يلبي الحاجة الى صيغ جديدة : بالنسبة للدول ذات المجتمعات المتعددة ، صيغا ونماذج اكثر مرونة ، وتوفق بين : رغبات التفرد والتميز والاحتفاظ بالهوية الذاتية لدى مجتمعات معينة ، وبين الابقاء على حد ادنى من كيان « الدولة » الذي بغيره لا يمكن ممارسة التقدم المنشود في هذا العصر .

وهو يعتبر مشروعه عن « الكومنولث » الفلسطيني تجربة في هذا المجال . وما فيه من ابتكارات وتعقيدات اهل للموازنة بين امكانيات التعاون ورغبة كل مجتمع في الاحتفاظ بهويته واصراره على حق تقرير مصيره .

هذا هو جوهر المشروع في ايجاز . ومفتاحه كما يبدو ، من الناحية القانونية ، هو التفرقة بين « المواطنية » اذا جاز التعبير وبين « الجنسية الرسميـة » . فهو يجعل « فلسطين كلها » وطنا قوميا لكل من الشعبين العربي والاسرائيلـي ، ثم يقيم عدة « دول » يحمل كل فريق جنسية دولة منها بما في الجنسية من حقوق سياسية . وهو يفتح الابواب بين الدول المشتركة في الكومنولث على آخرها ، ويبقي لكل دولة حدا ادنى من السلطة يكفي للاحتفاظ « بالهوية القومية » الاساسية لكل شعب . فهو نوع مـن الاتحاد الفدرالي ، وهي فكرة ترددت في عناوين الصحف ومقالات المعلقين وتصريحات بعض الرسميين أحيانا . ولكنه أكثر من اتحاد فدرالي ، لان نسبة التداخل والامتزاج فيه اكبر بكثير ... فهو اكثر من قول ابا ايبان منذ اسابيع انه يريد ان يرى الشرق الاوسط « منطقة مفتوحة كبلاد السوق الاوروبي المشترك » .

وقد لا يتسع المجال هنا هذه المرة لمناقشة مفصلة للمشروع ، ولردود اعتقد ان غيري سوف يحب ان يساهم بها . وقد يلاحظ المرء انه يعطي لاسرائيل حدودا جديدة ، تريدها فعلا ، تشمل الاردن وتلتصق بحدود العراق ... واشياء اخرى كثيرة . ولكن مـن الضروري تسجيل ملاحظة اساسية جوهرية هي :

انه حين تكون كل التصرفات الاسرائيلية — والامريكية بالذات — تحمل معنى التصميم على ان حجر الاساس في كل تخطيط او تفكير هو « الاحتفاظ بتفوق اسرائيلي ساحق » ،